افتتاحية العدد

أيتها السيدةُ المتشّحةُ بالسوادِ والنار: سلاماً

سلامٌ على دمشقَ المضرّجةِ بالدم والوجع والأحزان والأشواق ....

سلامٌ على ياسمينها المحترقِ بالنار ....

سلامٌ على حاراتِها القديمةِ العابقةِ بأريجِ تاريخٍ ذهبيٍ نبيل .....

سلامٌ على شوارعها وساحاتها تظلّلُها أحلامُ الشباب والصبايا .....

سلامٌ على تاريخها العربيّ تصونُه أحزانُ النساء، وعنادُ الرجال وكبرياؤهم.....

سلامٌ على قاسيون رصداً أقامه الخالقُ على كل عدوٍّ وغادر ....

لو تُشْترى الأيام أو تُباعُ لاشترينا أيامَك الماضياتِ بغضارةِ العيش، ونومِ العيون، وقيل لنا: أنتُم الغانمون.

هذه هي جيوشُ الفتحِ العربي تخرجُ منك حاملةً رايات الهدايةِ إلى أصقاعِ الدنيا القريبةِ والبعيدةِ، وهؤلاء هم خلفاءُ بني أميَّةَ يُمسكون التاريخ من ناصيته، ويوجِّهونه كيفما شاؤوا.

أُمويِّونَ فإنْ ضقتَ بهم ألحقوا الدنيا ببستانِ هشامْ "سعيد عقل"

وهاهو ذا البحتريُّ يُنشد:

أمّا دمشقُ فقد أَبْدَتْ محاسنَها وقد وفى لك مُطريها بما وَعَدا

إذا أردتَ ملأتَ العينَ من بلدٍ مُسْتحسنٍ وزمانٍ يُشبهُ البلدا

من ذا الذي يسرِّحُ ضفائرَك اليوم؟ من ذا الذي يبوحُ بأسرارِ قلبك الطعين؟ من ذا الذي يقول فيك ما قاله أَحدُ عشّاقك المدنفين "بدوي الجبل":

ويا ربِّ عزٌّ مــن أُميَّــة لا انطــوى ويا ربِّ: نورٌ وهَّجَ الشرقَ لا خَبا

وأعشقُ برقَ الشامِ إن كان مُمْطِراً حنوناً بسقياهُ وإن كــان خُلَّبــاً

وأهوى الأديمَ السَّمحَ ريَّانَ مُخصباً سنابلُهُ نشوى وأَهــواهُ مجدبــاً

شابَ الزمانُ ولم تشيبي! وشاعت في الناس أراجيفُ " على كاذبٍ من وعــدِها ضوءُ صادقِ"!!

عَوّدْتُ وجهَكِ من ضُرٍّ يطوفُ بهِ لغيرِ وجهكِ، يا حسنائيَ، الضّررُ

ظفِرَ الحزنُ بالسرورِ، فليس يُجدي ندمٌ ولا بكاء!

لا أُعاتبُ فيكِ الدهرَ، ولا ألومُه، ولكنني أعاتبُ فيكِ أهلَهُ ورعاتَهُ، لقد كان لهم وما يزالُ في دفاتر التاريخ اعتبارٌ لمن يعتبر. ألم يقرؤوا أو يسمعوا أنَّ " العرب هم معدنُ الإسلام" فإن ذَلَّ العربُ ذَلَّ الإسلام؟ ألم يقرؤوا أو يسمعوا ما فعلــه الخليفــةُ الراشديُّ عمرُ بنُ الخطَّاب حين أَنِفَ نصارى قبائل ربيعة – وهم العربُ الأقحــاحُ – أن يدفعوا الجزية كما يدفعُها غيرُ العرب؟ ألم يَحُطَّها عنهم، ويفرض عليهم ما يُشبهُ الزكاة؟ ألم يقرؤوا أو يسمعوا قولَه: لو استقبلتُ من أمري مــا اســتدبرتُ لأخــذتُ فضولَ أموالِ الأغنياء، فرددتُها على الفقراء؟ ألم يقرؤوا أو يسمعوا إنكــارَ النبــيّ

(عليه الصلاة والسلام) على " أسامة بن زيد، قَتْلَهُ أحدَ المشركين بعد أن نطق بالشهادتين. وحين قال أسامة: إنما قالها خوفاً من السيف، ردَّ عليه النبي (عليه الصلاة والسلام) هلاّ شققتَ على قلبه؟ فما بالُ بعضِ أهلِ زماننا يمارسون خطاباً تكفيرياً على كلّ من لا يرى رأيهم بلا زيادةٍ أو نقصان، ولو كان من أقرب الناس إليهم؟

ثم أليست قضيةُ "الكفر والإيمان" قضيةً أخرويةً لا قضية دنيوية كما يقرّر المفكر الإسلامي الدكتور "محمد سليم العوا"؟

أليس عجباً أن ننصرفَ عن مشاكلنا الضخمةِ الراهنةِ التي تكادُ تسدُّ علينا الأفقَ، ونستحيي مشاكلَ الماضي الغابر وخلافاته؟ إن الاستنجادَ بأخطاء الماضي لا يُحيي أمَّةً، ولا يصنع وطناً جديراً بالبقاء. ولو أنَّ الأمم المتقدّمة أَحيَتْ خلافاتها التاريخية، واستنجدتْ بأخطاء الماضي – وفيها جميعها مثل هذه الخلافات والأخطاء، بل ما هو أَشدُّ منها – لما استطاعت أن تُثبِتَ جدارتَها بالإنسانية، أو أن تُقيمَ دولَها المتقدّمةَ التي أنجزتْ مشاريعَها التاريخيةَ الكبرى، واستقرّت.

لقد علّمتنا الفلسفةُ والتاريخُ أنَّ تغيير الواقعِ مرهونٌ بأمرين هما: قراءةُ هذا الواقع قراءةً تحليليةً موضوعيةً واعيةً، وامتلاكُ الإرادةِ والتصميمِ على تغييره. فمتى سنكفُّ عن تسويقِ الأوهامِ التي غَدَتْ لها صلابةُ الواقعِ من كثرةِ تداولِها؟

حين يتشظَّى المجتمعُ وتعمُّ الفوضى تزدوجُ المعاييرُ، وتختلُّ القدرةُ على الرؤيةِ الصائبةِ. وهذان الأمران – ازدواجُ المعايير، واختلالُ الرؤية – هما بدايةُ الطريقِ إلى الجحيم. فهل يستيقظُ غافلٌ، ويسمعُ واعٍ رشيد؟

كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيّته. إنَّ الرائدَ لا يكذبُ أَهْلَهُ – كما في الحديث الشريف-. إن قضية الوطن هي القضية الأم، وهي قضيّتُنا جميعاً نتفقُ عليها أولاً ثمَّ نختلفُ ونتفقُ ونتحاورُ في كلِّ القضايا الأخرى مؤمنين بأنَّ الآخر هو "الشبيهُ

المختلفُ" الذي نتساوى (نحن وهو) في جميعِ الحقــوق والواجبــات. إن مفهــومَ "المواطنة" الذي يقتضي بالضرورةِ "المساواةَ" هو أساسُ الدولةِ الحديثــة، فلنعمــلْ لتحقيقِ هذا الهدفِ النبيلِ الذي نزعمُ جميعُنا أنَّهُ هدفُنا الأوَّلُ قبلَ أن يتحلَّل المجتمعُ إلى عواملِه الأوليةِ كالطائفيّةِ والعشائريّةِ والقبليّةِ والجهويِّة وأشباهِها، أي قبــل أن نَنْكُصَ إلى البنى التقليديةِ التي تسبقُ مرحلةَ نشوءِ الدولة.

سلاماً أيتها الفاتنةُ المتَّشحةُ بالسوادِ والنار، وصبراً ....

صبراً دمشقُ على البلوى فكم صُهِرَتْ سبائكُ الذَّهبِ الصافي فما احترقا

رئيس التحرير

الأستاذ الدكتور وهب رومية